من التصورات الاجتماعية إلى نظرية النواة المركزية لجان كلود ابريك

From social perceptions to the theory of the central core of Jean-Claude Abric

Des perceptions sociales à la théorie du noyau central de Jean-Claude Abric

د. حديدي محمد
المركز الجامعي تيبازه

تاريخ الإرسال: 06-12-.2018- تاريخ القبول: 10-04-2019 - تاريخ النشر: 05-05-2021

ملخص

نحاول في هذا المقال تناول مفهوم التصورات من خلال التطرق للتطور الذي عرفه من دوركيم (É Durkheim)إلى (Moscovici.S) مسكوفسي، و من وجهة نظر حديثة ممثلة في نظرية جون كلود أبريك J.C Abric 1941 – 1912 الذي ادرج البعد الاجتماعي في هذا المفهوم ببناء مفهوم التصورات الاجتماعية في نظريته التي تدعى بنظرية النواة المركزية.و تهدف هذه الورقة البحثية إلى المساهمة في قراءة مفهوم التصورات الاجتماعية من خلال مراحل بناءه وتناول دور اسهام نظرية النواة المركزية لجون كلود ابريك J.C Abric، في تحديثه.

الكلمات الدالة : التصورات؛ التصورات الاجتماعية؛ نظرية النواة المركزية.

Abstract

In this article we attempt to address the concept of representation or social representations by addressing the evolution of this concept from the perspective of E. Durkim to S. Miscovici. From this point of view, this concept is addressed from a modern perspective, in which J.C Abricat tempted to give another picture by incorporating the social side, The shift from the concept of representation to the concept of social representation through his the or called the theory of the core nucleus, to arrive at the final concept of representation to take the evolution that touched the concept and the nature of the study in such topics. The purpose of this paper is to try to conceptualize the concept of social perceptions and the various stages of the evolution of this concept. The aim of this paper is to provide researchers and those interested in the field of perceptions with one of the most important theories in this field, namely the central nucleus theory of J. Abric, This article is from the addendum that was presented in this topic in Arabic, since most studies are in foreign language.

Keywords: representation; social representation; central nucleus theory.

Résumé
Dans cet article, nous aborderons le concept de perceptions en abordant son développement de Durkheim à Moscovici. Nous l'aborderons également dans ses dimensions sociales dans la théorie du noyau central de Jean Claude Abric. Notre objectif est d'analyser l'évolution de la construction du concept de représentations sociales en mettant en évidence l'apport de la théorie du noyau central à sa modernisation conceptuelle.

Mots-clés: Perceptions; perceptions sociales; théorie de base centrale.

مقدمة

إن السلوكيات المختلفة التي يقوم بها الإنسان محددة من نشاط ذهني عميق تثيره وتغذيه المواقف والخبرات التي يعيشها. ومما يزيد في أهمية هذا النشاط كونه يفرض على الفرد نوعا من الاستجابات التي لا تتفق في كثير من الأحيان مع منطق الاستجابة العادية، وهذا النشاط يدعى بالتصور أو التصورات. والتصور هو عبارة عن نشاط ذهني يقوم على تخزين وتنظيم المعرفة والخبرات المختلفة المستقاة من المحيط الاجتماعي ليعيد إنتاجها في سلوكات مغايرة تماما للصيغة التي تم بها تخزينها، ما يجعلها آلية أعقد من ردة فعل أو مجرد عملية استرجاع بسيطة. ويختلف الكثير من الباحثين حول اعتبار هذا المفهوم كنشاط معرفي أم كنشاط اجتماعي، أو هو تقاطع بين البنى المعرفية المنظمة والمنتجة للسلوك والخلفية الاجتماعية للسلوك.

سنحاول من خلال هذا الورقة إعطاء صورة عامة حول هذا المفهوم الذي نعتقد أنه من أهم المفاهيم التي لم تنل حقها من الاهتمام والدراسة، ويعد الطرح الذي قدمه أبريك من خلال نظرية النواة المركزية من أهم التطورات التي عرفها البحث العلمي في الميدان.

1. التصور قبل نموذج أبريك

يعتبر التصور من المواضيع التي دار حولها الكثير من الحديث والنقاش قصد فهم مصدره والوقوف على مفهوم له، لكن أغلب الباحثين مثل أبريك (Abric, 1994) ومسكوفيسي (Moscovisi ,1961) وجوبليت (Jodelet,1984)، وغيرهم يجمعون على أن أول من استعمل مفهوم التصور كان إميل دوركايم في بحوثه سنة 1898، وذلك لإبراز التأثير

الجانب الاجتماعي على الأفراد وتفاعلهم معه، فكان توظيفه لمفهوم"التصور الجماعي" في مقابل التصور الفردي، الذي هو نتيجة نشاط ذهني للفرد، وفي هذا يقول برنكار أنه «على العكس من التصورات الفردية التي هي موضوع علم النفس والتي هي داخلية وتسيِّر من طرف عقل الفرد.

فالتصورات الاجتماعية هي خارجية وتساهم في الوعي الجماعي، ولها تأثير على الجانب المعرفي للفرد"(Bronckart ,1991, p598)، غير أن هذا المفهوم ظل غائبا لمدة طويلة إلى أن جاءت بحوث سرج موسكوفسي في مجال علم النفس الاجتماعي. وكانت من بين اهتماماته دراسة مفهوم التصور ولم يبق في الإطار الاجتماعي بل أضفى عليه الطابع النفسي، حيث أصبح يعرف بمفهوم التصور الاجتماعي بدلا من التصور الجماعي. و يعتبر كتابه "التحليل النفسي صورته وجمهوره، 1961" من أهم المؤلفات في مجال دراسة التصورات الاجتماعية (Abric, 1994).

ولعل أهم ما نسجله في سياق الحديث عن نشأة هذا المفهوم ما أشارت إليه الباحثة "جودلي" مؤكدة أن مفهوم التصور الاجتماعي أو الجماعي ظهر في علم الاجتماع، لكنه اختفى لمدة طويلة، بينما تطورت نظريته في علم النفس الاجتماعي وكان ذلك على يد موسكوفيسي (Moscovici,1961, 1976) و(Jodelet ; Moscovici ,1984) الذي من أهم الباحثين في مجال التصورات الاجتماعية، حيث أعطى لها دفعا قويا ببحوثه، كما ساهم كثيرا في تأسيس تيار وأراده أن يقف مواجها للتيار السلوكي، الذي يرى أن كل سلوكات الفرد مردها إلى قاعدة المنعكس الشرطي مثير–استجابة. وفي هذا الصدد ترى "جودلي" أن مفهوم التصوُّر نفسه أُدخل إلى ميدان علم النفس الاجتماعي بسبب عجز الأطر النظرية الكلاسيكية وبالخصوص النموذج السلوكي. (Jodelet .in : Moscovici,1984).

ظهر مفهوم التصور في علم الاجتماع على يد دوركايم كما سبقت الإشارة إليه، وبرز كما هو عليه الآن كمفهوم التصور الاجتماعي من طرف "سرج موسكوفسكي". ورغم أهميته العلمية فقد عرف هو كذلك نوعا من الركود، وذلك إلى غاية الأعوام القليلة الماضية حيث أعيد الاعتبار له في علم النفس، وعلى الأخص في علم النفس الاجتماعي باعتباره مرجعا لا غنى عنه في تحليل وفهم السلوك الإنساني.(Abric,1994) وجاء ذلك في سياق ازدهار البحوث المعرفية في مقابل تراجع البحوث السلوكية عن تفسير بعض

الظواهر الإنسانية، وفي هذا السياق تقول " بلوخ " « أن مفهوم التصور بدأ يعرف تطورا حقيقيا في علم النفس منذ أن طرحت فكرة إعادة النظر في التناولات السلوكية، والدافع إلى ذلك هو البديهية القائلة بوجود كيانات داخل النسق المعرفي البشري، لها دور الاحتفاظ بالمعلومات الناتجة عن تفاعلات الفرد بالمحيط وهي تقوم بالمحافظة عليها في شكل قابل للاستعمال لأغراض سلوكية لاحقة.»(Bloch,1993, p667)

ومن بين أهم الدراسات المعرفية تلك التي قام بها (بياجه، 1969) وغيره من دعاة النظرية المعرفية، والتي أظهرت أن تصور نشاطات معرفية من النوع العالي، تمكن الإنسان من تنظيم المعارف والخبرات التي يعيشها والتي تسمح له كذلك بإعادة استخراجها، حيث اعتبرها امتدادا لعملية التقليد التي تظهر في المراحل الأولى من حياة الطفل (غليون،1997)، واعتبر بورستزجين (Bursztejin,1990) اللغة هي أولى المظاهر التصورية التي ينتجها الإنسان والتي يصل من خلالها إلى إنتاج رموز تمثيلية. وأظهرت البحوث التي قام بها بياجه؛ أن هذه العملية تساير نمو الطفل إلى أن تصل إلى ما هي عليه الآن مع نمو العمليات العقلية التي حددها (Ghiglione,1997).

وبهذا يكون التناول المعرفي قد أعطى للتصورات دفعا قويا، لكونه لا يعتبرها مجرد عكس للواقع أو عملية تخيل، بل يعتبرها عملية معقدة رمزية، إذ أن السلوكات الاستجابية هي رموز دالة يصل الفرد من خلالها إلى التعبير عن اتجاهاته وميوله، ومن بين الذين اهتموا بهذا المجال (فيقوتسكي، قالون،...) وغيرهما من الذين يتفقون على اعتبار التصورات عملية معرفية.

أما التناول النفسي الاجتماعي الذي اهتم كثيرا بمجال التصورات وأثرها على سلوك الأفراد يرى بأن للتصورات بعدا معرفيا مهما حقا، غير أنها ليست معرفية بحتة، وذلك راجع إلى أن الفرد لا يعيش بمعزل عن المجتمع وبالتالي فسلوكاته ليست وليدة نشاط عقلي فقط إنما هي كذلك اجتماعية أو لها جانب اجتماعي يلعب دورا مهما في تشكيلها وبنائها، و يعطي لها بعدا اجتماعيا، ولهذا كان الاهتمام بالتصورات المعرفية باعتبارها تصورات اجتماعية وهذا ما يجسد خصوصياتها مع نتاجات معرفية أخرى. وفي هدا الاطار تعتبر جودولي (Jodelet,1984) التصورات نوعا من المعرفة الاجتماعية لأنها تجمع الجانب النفسي المتمثل في العملية المعرفية المتمثلة في تخزين التصورات

وتنظيمها ثم إعادة استخراجها إضافة إلى الجانب الاجتماعي المتمثل في الرمزية، وبالتالي لا يمكن اعتبارها نفسية بحتة، يغلب عليها الجانب النفسي (المعرفي) ولا اجتماعية محضة يغلب عليها الجانب الاجتماعي، إذ أن الفرد عندما تواجهه مشكلة لا يكون تعامله معها انطلاقا من جانب معرفي لوحده، بل يلجأ كذلك إلى خبراته الاجتماعية، وبالتالي تكون استجابته مزيجا بين الجانب المعرفي والجانب الاجتماعي. ولعل هذا ما دفع أبريك إلى طرح نموذجه القائم على النواة المركزية والعناصر المحيطية في محاولة لتوضيح هذا المفهوم وآلية عمله.

2. التصوروفق نظرية النواة المركزية لأبريك

يرى ابريك(Abric,1994) بأن التصورات تشتغل ككيان ذي مكونين اثنين، النواة المركزية والعناصر المحيطية بها، وأن كل تصور منظم حول النواة المركزية، التي تعتبرها العنصر الأساسي في التصور، ذلك لأنها هي التي تحدد في نفس الوقت المعنى وتنظيم التصور، وهذه النواة متكونة من العناصر الممثلة للشيء والتي من بينها العنصر الأساسي الذي سوف يبنى عليه التصور، بمعنى آخر أن التصور سوف يكون انطلاقا من هذا المحدد، وعلى هذا الأساس وضع أبريك لهذه النظرية عنصرين أساسين لعملها هما:

1.2النواة المركزية أو النواة المنظمة

تعتبر النواة المركزية مركز التصور و تتشكل من الخصائص الأساسية للشيء المتصور والتي تؤول فيما بعد إلى خاصية واحدة تشمل كل الخصائص الباقية وعلى أساسها يتم بناء التصور وهذه الخاصية تحدد من خلال:

- طبيعة الشيء المتصور.
- العلاقة التي يتعامل الفرد بها أو الجماعة مع الشيء.
- سلم القيم والمعايير الاجتماعية، التي تشكل المحيط الفكري للفرد أو الجماعة.

لكونها الأساس الذي يبنى عليه التصور، تعطي النواة المركزية لهذا الاخير صفة الثبات والصمود أمام التغير، وكل تغير في النواة المركزية يؤدي إلى تغير شامل في التصورات، وهدا ما يلخصه (أبريك، 1994) هذا بقوله "أنها الواقع نفسه كما أنها تشكل القاعدة الثابتة التي تبنى حولها مجموع التصورات".

تقوم النواة بوظيفتين هما:

- الوظيفة التوليدية التي تنبع وتتغير من خلالها المعاني المؤسسة للتصور، وتكتسي معنى وقيمة.
- الوظيفة التنظيمية التي تحديد طبيعة العلاقات التي تربط فيما بين عناصر التصور وبهذا تعتبر العنصر الموحد والمثبت للتصورات.

2.2 العناصر المحيطية

التي تشكل مفتاح التصور لانها تلعب دورا هاما، بحكم موقعها بالنسبة للنواة المركزية وموضعها الواقعي بالنسبة لتطور ودور التصورات. (Abric,1994) وعن العناصر المحيطية يقول ساسي «أنها على قدر كبير من المرونة بحيث تسمح بحدوث تغيرات على مستوى الأفراد انطلاقا من تجاربهم، ومن ثمة فإن هده العناصر تمكن التصورات من الاشتغال باقتصاد أي دون الحاجة لتحليل الموقف في كل لحظة بالرجوع إلى المبدأ المنظم الذي تمثله النواة المركزية».(ساسي، 1996، ص160)

كما يضع أبريك لهذه العناصر ثلاثة وظائف هي:

- **الوظيفة التجسيدية التي** هي نتاج الواقع وعملية التجذر، وبصيغة أخرى هي التي تضع التصورات في سياقها الظرفي.
- **الوظيفة التنظيمية التي** تتلخص في كونها تسمح بإدخال كل متغيرات، أي أنها تلعب دورا في تأقلم التصورات مع التطورات المختلفة للسياق. وهذا هو الذي يشكل مرونة العناصر المحيطية.
- **الوظيفة الدفاعية التي تمنح** النواة المركزية قدرة الصمود أمام التغير والتحكم في سرعة حدوثه، وهذا لان العناصر المحيطية تدافع عن النواة المركزية وتتلقى كل صدمات التغيرات الحاصلة التي يمكن أن تؤثر على النواة، فهي تصطدم بهذه الوظيفة عوض النواة. (Abric,1994)

تضع هذه النظرية الأبعاد التي تبنى عليها التصورات وكيفية عملها، إذ أنها-وكما سبقت الإشارة إليه-مبنية على عنصرين هامين النواة المركزية باعتبارها الأساس الثابت الذي لا يتغير أو طبيعة الشيء المتصور وهو المثبت له، وهناك أيضا العناصر المحيطية، التي تسمح بمرونة التصور وتغير ردود الأفعال، ذلك أنها تشكل نوعا من الحماية الغلاف أو

للنواة المركزية إذ يمكن استبدالها، وهذا ما يعطي للتصور طابعا آخر. ومن خلال هذا تنعكس العلاقة السوسيو معرفية، في عمليات التخزين للخبرات وهذه العناصر كلها عبارة عن نشاط عقلي معرفي من النوع العالي، لكن ما يحولها ويدعها تعمل، ويتسبب في تواجدها ونشاطها هو الجانب الاجتماعي المتمثل في المعلومات،والخبرات،والتجارب، والمعايير، والقيم الاجتماعية وغيرها من الخصائص الاجتماعية التي يمتلكها الفرد والتي هي أصل تصوره وموضوعه.

وفي سياق الحديث عن هذه النظرية يشير ساسي إلى «أن أهمية هذه النظرية تكمن في توجيه الانتباه إلى ضرورة التعرف على العناصر المكونة للنواة المركزية للتصور، كلما تعلق الوضع بتغير ذلك التصور في اتجاه معين، ذلك لأن تغير العناصر المحيطية لا يؤدي إلا إلى تغيرات سطحية لا تمس الجوهر (النواة).» (ساسي، 1996، ص 161)

ولعل ما يستدعي الاشارة اليه بشأن هذه النظرية هي الأهمية التي يكتسيها الطابع المعرفي في الطرح المقدم من طرف مؤسسها، جون كلو ابريك، وهذا ما نستشفه من خلال المراحل التي حدد على أساسها بناء التصور كعملية عقلية انطلاقا من الاحتفاظ (ذاكرة) إلى غاية البروز على شكل سلوك، فالاحتفاظ يكون على مستوى الذاكرة، لكن طبيعة هذا الاحتفاظ تختلف عن عمليات الاحتفاظ العادية لأن التصور يوضع في منطقة يصعب الوصول إليه ومن ثم تغييره، كما أنه لا يتجلى إلى السطح كنشاط تذكيري بسيط، بل كنشاط نابع من الفرد بتلقائية أي كسلوك أصيل للفرد. بينما هو في الواقع ناتج عن النواة المركزية التي تعتبر مصدر للتصور وبالتالي المحدد الأول لطبيعة الاستجابات.

أما العناصر المحيطية و التي تمثل الواقي للنواة من الصدمات الخارجية التي يمكن أن تؤثر عليها، فتعتبر مصدر اختلاف سلوكات الأفراد المشتركين في نفس الخبرات، بينما يبدو الجانب الاجتماعي في موضوع التصور وفي شكله و طبيعة المحيط الذي يدور فيه، أي أن الجانب الاجتماعي هو محرِّك التصورات وعليه فمن الصعب فهم التصور دون الرجوع إلى القاعدة الاجتماعية أو الخبرة التي اكتسبها الفرد.

وبقدر ما تعكس هذه الآراء الاختلاف الواقع بين البعد المعرفي والبعد الاجتماعي بقدر ما تعكس أيضا مدى صعوبة بناء مفهوم التصور، لأنه يجمع بين الجانب النفسي

والاجتماعي في أعلى المستويات، وقد يكون ذلك من أسباب تأخر تطور البحث في هذا الميدان، وقد يكون موسكوفسي أفضل من عبر عن هذا الاختلاف بقوله «أنه إذا كان واقع التصورات سهل التناول، فالمفهوم ليس كذلك، ذلك أن هناك العديد من الأسباب؛أهمها موقعها المزدوج بين المفاهيم الاجتماعية والمفاهيم النفسية الأجتماعية»(Moscovici,1976, p39). وهو بهذا الرأي يلخص فعلا صعوبة نشاط التصور، ويشير في الوقت نفسه الى حداثة البحث هذا الميدان الدي كان موضع العديد من الطروحات والآراء التي رغم اختلاف تفسيراتها اتفقت على اهمية التصور ودوره ساهما كثيرا في تحديد مفهومه وعلى ان تحوله الى موضوع الدراسة يكتسي أهمية كبيرة في فهم سلوك الإنسان والتنبؤ به.

3. مفهوم التصورات خصائصه

1.3مفهوم التصورات

لتحديد مفهوم التصورات في الاطار المدكور سابقا، يتعين الاشارة الى ان اختلاف استجابات الافراد لا يفسر باختلاف مثيرات السلوكات، بل بطبيعتها ذلك أنه قد يتعرض شخصان لمثير واحد، لكن كل واحد يتعامل معه بطريقته الخاصة حتى وإن تكررت الظاهرة العديد من المرات، وهذا راجع إلى الفروق الفردية كما أنه راجع كذلك إلى نشاط ذهني عميق تثيره وتغذيه الخبرات التي يعيشها الفرد والتي تدعى بالتصورات التي هي عبارة عن «مجموعة منظمة من الآراء والاتجاهات والمعتقدات حول موضوع معين أو علاقة، وهو أيضا نشاط ذهني عميق....» (ساسي،1996، ص 159)

كما أن هذه التصورات ليست عملية تخيل أو إعادة ما هو موجود إنما هي عملية أعقد من هذا، تقوم على بناء نموذج في ذهن الإنسان يكون بمثابة المرجع الفكري الذي يستند عليه في كل تفاعلاته وفي كثير من الأحيان يكون الرجوع إليه دون شعور وفي تلقائية تامة، أو ما تعتبره (Jodelet,1984)، عملية إنتاج عقلية لشيء آخر مثل، أشخاص، أشياء حوادث مادية نفسية فكرية، وكلمة إنتاج هنا دالة على إعادة بناء للمعرفة المستقاة من المجتمع ضمن السياقات النفس-اجتماعية المختلفة وتظهر وفق منظور آخر.

والجدير بالذكر أن هذين التعريفين لا ينظران إلى التصور من وجهة واحدة فالرأي الأول يصف مكوناته بأنها عبارة عن آراء، واتجاهات، ومعتقدات خاصة وبموضوع معين، فهي نتاج الخبرات المتعددة والمختلفة التي يعيشها الفرد، كما يعتبره نشاطا ذهنيا عميقا. ذلك لكون العمليات السالفة الذكر عمليات صادرة عن العقل وهي في الواقع عمليات مركبة ومعقدة تشمل العديد من النشاطات منها تخزين،وتنظيم، وبناء، والربط بالواقع...، بينما الرأي الثاني ينظر إليه من وجهة عملية إجرائية، اي يعتبره إعادة إنتاج عقلية لشيء آخر، ذلك أن الخبرات الإنسانية هي خبرات تربوية يتعلم من خلالها الفرد التعامل مع الواقع المحيط به. فمثلا توبيخ تلميذين بكيفية واحدة تنجر عنه ردة فعل مختلفة، تبعا لطبيعة خبرات وإعادة إنتاجها لكل منهما وتلك هي التصورات، وبالتالي فإن كلا التعريفين رغم اختلاف منظورهما للتصور يكمل أحدهما الأخر.

إذن فالتصور عملية عقلية ونفسية يصل الفرد من خلالها إلى التعامل مع المواضيع المحيطة به بناء على صور حوادث سابقة، بمعنى آخر تصبح المرجعية التلقائية لسلوك الإنسان هي المحددة لسلوكه، وهي انعكاسا لوقائع ماضية انعكاسا كليا، بل انها هي عملية أعقد من ذلك، لأنها وحسب لورسي « عبارة عن نتاج أنشطة التحليل والتصنيف لمختلف أبعاد الأشياء، وأن التصورات تبنى بشكل داخلي من طرف الفرد لاحتواء الواقع وبالتالي فهي تتدخل في كل من عملية التعرف على الشيء وكذا في استحضاره. وتقوم التصورات حسبه على ثلاث نقاط أساسية هي:

- التصور ينطلق من معلومات يوفرها المحيط الخارجي.
- تعالج هذه المعلومات وتبني وتنظم في العقل.
- نتائج البناء الذهني هو ما يطلق عليه مفهوم التصور.»(لورسي،1997، ص23)

ويمكن أن يضاف إلى هذه العناصر عنصر رابع وهو الأكثر أهمية في اعتقادنا وهو كون التصور أداة لاستيعاب الواقع والتعامل معه وهنا يجب التأكيد اعتباره نتاج لبناء ذهني اجتماعي، وهذا ما تراه دونيزجودلي التي تعتبر التصور فعلا مرتبطا بالتفكير، وبواسطته يقيم الفرد علاقاته بموضوع ما.(jodelet-in : Moscovici ، 1984)

ولعل ما يزيد في الحاجة إلى دراسة مفهوم التصور وأهميته هو ما يتعلق بمعرفة ما يجري في تفكير الآخرين، أي عندما يراد معرفة كيف يتناول الأفراد الواقع وكيف يرون أنفسهم فيه وذلك انطلاقا من العنصر الرابع وهو كون التصور أداة لاستيعاب الواقع والتعامل معه وهذا ما يراه أرابيك (Arabic, 1994) في أن التصورات نظام يعبر عن الواقع، ويسير علاقات الأفراد مع محيطهم المادي والاجتماعي،و يحدد تصرفاتهم وممارستهم. فالتصورات عملية ذهنية يصل الفرد من خلالها إلى التعامل مع الواقع و تكيفه، فهي من هدا المنظور المنطلق أو البوابة التي تمكن الدارس من فهم سلوك الإنسان وردة أفعاله، وبالتالي التنبؤ أو الاستعداد للتعامل معه وفق المعطيات المحددة.

فالتصور إذن هو نقطة انطلاق الفرد في بناء معارفه والتي على أساسها تحدد سلوكاته، وعليه يعد الاهتمام بمنطلق تكوين المعارف وبنائها أسبق وأهم من الاهتمام بالمسلك في حد ذاته إذ لا يمكن الانطلاق إلا من المكان الذي نحن فيه، فحسب "دوبون" إذا لم يكن أحد في خط البداية فمن الصعب إيجاد أحد عند خط الوصول، لأن نقطة البداية (الانطلاق) نقطة أساسية في أي عمل مهما كان نوعه.(Dupont,1989)، وكذلك الأمر بالنسبة للتصور إذ أن فهم السلوك الذي أمامنا يدفعنا بالضرورة إلى العودة إلى نقطة انطلاقه .

2.3 خصائص التصوروبناؤه

ان التطرق لمفهوم التصور من زاويتي نظر مختلفتين لتحديده بكيفية دقيقة كشف صعوبة بنائه و واهمية معرفة دوره في تفسير سلوكات الأفراد، ولكي يتضح هذا المفهوم أكثر كان من الواجب علينا التطرق إلى خصائص ومكوناته التي تسمح للفرد ببناء خبراته حول موضوع ما، وفي هذا الصدد ترى جودلي : أن من أهم الخصائص المميزة للتصورات ما يلي:

- للتصور موضوع يتمحور حوله دائما.
- للتصور طابع تخيلي وخاصية تجعل المحسوس والفكرة قابلان للتبادل فيما بينهما.
- للتصور طابع دلائلي.
- للتصور طابع بنائي.
- للتصور طابع إبداعي ومستقل.

وإضافة إلى ذلك فإن للتصور جانب اجتماعي.(Jodelet,in : Moscovisi,1984, p365)
ومن جهته يشير أبريك (أبريك، 1994) إلى أن التصور ليس مجرد انعكاس للواقع، بل إنما هو «تنظيم ذو معنى، وهذا المعنى يتجلى من خلال الخصائص الأقل أهمية كطبيعة تناقضات الوضعية، والسياق الآني وغايات الوضعية وكذلك من خلال خصائص أخرى تتجاوز الطبيعة في حد ذاتها منها السياق الفكري المحدد لها، ومكانة الفرد في البناء الاجتماعي، وتاريخ الفرد والمجموعة في سياق الرهانات الاجتماعية. ثم يستطرد قائلا، إن التصورات تعمل مثل نظام مترجم للواقع الذي يسير علاقات الأفراد مع محيطهم الطبيعي والاجتماعي كما تحدد تصرفاتهم. فالتصورات بهذا المعنى هي بمثابة دليل الحركة، إذ أنها توجه الأفعال والوقائع الاجتماعية. كما تحدد مجموع التوقعات.» (abric,1994, p13)

من خلال هذا العرض لخصائص التصور يبدو واضحا مدى تعقد بناء هذا المفهوم، لأنه يقوم على تداخل وترابط العديد من العناصر، وهذه الأخيرة ونظرا لتفاعلها مع بعضها البعض يصبح من الصعب إهمال خاصية أو الاهتمام بها دون أخرى، فالخصائص التي ذكرتها جودلي كالطابع الدلالي والبنائي للتصور تتضمن الخصائص التي أشار إليها أبريك مثل، السياق، والغاية وكذلك مكانة الفرد الاجتماعية وكل هذه الخصائص ضمنية في الرأي الأول، إذن يمكن القول أن أبريك أعطى تحليل للتصور في أدق أجزاءه.

إلا أن التصور حسب ما يرى أرابيك (jodelet ,1984; arabic, 1994) قائم على موضوع ما. وأنه ذو طابع عقلي معرفي إضافة إلى طابعه الدلالي كما أنه يحمل بعدا اجتماعيا يميزه عن التصور الفردي، وترى جودلي : أنه علينا دائما أن نضع في تفكيرنا هذه الفكرة أن كل التصورات لشيء ولشخص، هي إذن ليست نظيرا للمثالي ولا حتى الجانب الموضوعي للشيء، وليست أيضا الجانب الموضوعي للفرد، إنما هي نشاط تتم من خلاله العلاقات". (Jodelet; in: moscovici,1984, p362). فهي تسعى بهذا إلى توضيح أن خاصية تمحور التصور حول الموضوع اساسية قبل خصائص الفرد، أي أن كون التصور نتاج للفرد وبنائه المعرفي الوقت ذاته لا ينفي الجانب الاجتماعي لأن التصورات بالنسبة لها محددة من خلال الوضعية التي يحتلها الفرد في المجتمع اقتصادي، الثقافي.. (Jodelet,1984)، وبهذا تتفق جودلي مع أبريك في اعتبار التصور ليس انعكاسا للواقع إنما هو تنظيم ذو معنى

(Gilley,1989) إلا أن الاختلاف الواقع بينهما يكمن في كون ابريك يراعي خصائص أخرى من بينها طبيعة الموضوع، طبيعة الفرد، سياق التصور وغيرها من الخصائص المهمة في بناء التصور والتي يجب مراعاتها في فهمه، كما يرى أن هذه الخصائص قد تكون ضمنية وبالتالي يصعب تحديدها واعتبار أهميتها.

فالتصور إذن هو نتاج من الفرد، كما أن الفرد في حد ذاته يمكن أن يكون موضوعا للتصور، وبين هذين العنصرين تجد المحيط الاجتماعي كعامل له دوره في بناءه وبلورته.كما أن الاختلاف الظاهر بين الرأيين هو نتاج ما أشار إليه (Mscovisi,1976) من صعوبة تحديد الإطار الدقيق لهذه الظاهرة، وهذا يتأكد من خلال وجهات النظر أو الأطر المكونة لهذا المفهوم والتي تعرضها جودلي كالأتي:

- **الوجهة المعرفية:** و يكون فيها التركيز على الجانب المعرفي البحت، الذي يسمح للفرد ببناء تصوراته والتي تضع بعدين أساسين تبنى عليهما الظاهرة هما:
- **الإطار:** أين يكون الفرد في وضعية تفاعل اجتماعية أو أمام مثير اجتماعي، فالتصور هنا يظهر كحالة من المعرفة الاجتماعية.
- **الانتماء:** بما أن الفرد هو اجتماعي بطبعه فإنه يبني أفكاره وتصوراته وفق قيم ونماذج من المجتمع الذي ينتمي إليه أو من الأفكار المحركة للمجتمع.
- **الوجهة الدلالية:** أين يكون التركيز فيها على دلالة النشاط التصوري، أي الفرد يعتبر كمصدر للمعاني، يعبر في تصوراته عن المعاني التي يعطيها لخبراته في محيطه الاجتماعي.
- **الوجهة الخطابية:** يعالج هذا البعد التصورات كشكل من أشكال الخطاب الذي يطرح خصائصه من خلال الممارسة الخطابية للفرد المحددة اجتماعيا.
- **وجهة الممارسة الاجتماعية للفرد:** أي من خلال المكانة التي يحتلها الفرد اجتماعيا، وما ينتج من تصورات تعكس المعايير المؤسساتية التي تنحدر من مكانة الفرد أو من خلال أفكار المكانة التي يحتلها.
- **وجهة نظام العلاقات:** ذلك أن النظام العلاقات بين المجموعات هو الذي يحدد حركية (دينامية) التصورات. إن تطور التفاعلات بين الجماعات يعدل التصورات التي يحملها الأفراد حول أنفسهم و حول المجموعة التي ينتمون إليها والمجموعات الأخرى وأفرادها.

- **وجهة المحددات الاجتماعية :**التي تركز النشاط التصوري على إعادة إنتاج أشكال التفكير الموضوعية اجتماعيا، إذ تعتبر هذه الوجهة اجتماعية أكثر.

(Jodelet, in : moscovisi,1984)

بناء على الأبعاد السالفة الذكر يمكن تحديد الأطر النظرية المختلفة، والتعرف على الجوانب التي ترتكز عليها، فالبعد الأول يعد معرفيا، إذ يعتبر عملية التصور نتاجا عقليا يخضع للنمو المعرفي للفرد الذي يتبع نموه الكلي (Piaget,1969)، أما البعد الثاني فهو دلالي؛ بمعنى أن قيمة التصور هي في دلالة المعاني التي يصدرها الفرد، وهكذا فكل بعد من الأبعاد المذكورة يستند إلى أطر نظرية معينة في تحليل وفهم الظاهرة، وهذا لا يعني أن هذه الأطر لا تتقاطع فيما بينها (jodelet,1984).

كما ترى جودلي (جودلي، 1984) أن التصور يبنى على قاعدتين أساسيتين يتضح من خلالهما تداخل الجانب النفسي في الاجتماعي و الجانب الاجتماعي في الجانب النفسي، وهما:

- **التموضع:** ويتجلى في ترتيب شكل المعرفة المتعلقة بالتصور وجعل المجرد محسوسا، أي الاختزال في المعاني عن طريق تجسيدها أو جعلها مادية، وكأن هذا البعد يحاول جعل الأفكار والصور مجسدة أو محسوسة لكي تكون لها دلالة، فهو عبارة عن عملية اختزال لكل الأحاسيس والمشاعر والصور والأفكار في مفهوم واحد ودال.
- **التجذَر:** يتجلى من خلال المعنى والمنفعة اللذين يطبعان التصورات وموضوعاتها، وهذا راجع إلى وظيفتها الاجتماعية .

وترى أيضا جودلي (جودلي، 1984) بأن نسق التجذَر موجود في علاقة جدلية مع التموضع ويحرك ثلاث وظائف أساسية هي:

- الوظيفة المعرفية.
- الوظيفة التأويلية للواقع.
- الوظيفة التوجيهية للسلوكات والعلاقات الاجتماعية. (Jodelet; in: Moscovici,1984)

فالتموضع والتجذَر قاعدتان أساسيتان يبنى عليهما التصور، كما أنهما مصدر أو نقطة التقاء الجانب النفسي بالجانب الاجتماعي، ولعل هذا ما دفع موسكوفسي، (1976) إلى القول أن مفهوم التصور واقع بين مفترق الطرق، لأن دعاة النظرية المعرفية يعتبرونه معرفيا بحثا، انطلاقا من كونه نشاطا عقليا، وأما أصحاب البعد الاجتماعي فيرون

عكس ذلك انطلاقا من كون التجارب والخبرات التي يكتسبها الطفل هي اجتماعية بحتة، وبالتالي فموضوعه وغايته اجتماعية وبالتالي فهو اجتماعي.

إلا أنه عند التمعن في الأبعاد السالفة الذكر وخاصة في البعد المعرفي والاجتماعي للتصور يتبين بأن هذا البعد هو بعد سوسيو-معرفي، ذلك أن الجانب المعرفي هو الذي ينظمه وهو الذي يحدد كيفية ظهوره، وأن البعد الاجتماعي هو مادته الخام التي يستند عليها في تشكله، كما أن انعكاساته تكون على المجتمع، وبالتالي فمن الصعب فصل جانب عن آخر. وهذا ما جسده ج. أبريك،(1994) من خلال فكرة النواة المركزية ودورها في فهم التصور وكشف ديناميكيته وإمكانية تغيره.

خاتمة

يبدو مما سبق ذكره عن التصور وعن وتطور مفهومه ومحتواه وكيفية تأثيره في سلوك الإنسان، وكذا من خلال خصائصه البنائية والتكوينية أنه لا بديل عن الاهتمام بدراسته، سواء لفهم التعاملات اليومية للأفراد وتوقعها، أو ضمن نسق تربوي أين قد يكون لتأثيره دور كبير في إقبال التلاميذ على التعلم أو النفور منه، وفي انحراف العملية عن مسارها الصحيح وبلوغ أهدافها.

أما عن التداخل الواقع في تناول مفهوم التصور بين الجانبين النفسي (المعرفي) والاجتماعي فهو راجع إلى طبيعة الإنسان نفسه الذي يستحيل عزله عن إطاره النفسي، كما أن هذا الأخير ليس بمعزل عن التأثير الاجتماعي لأن الفرد وليد بيئته وهو ما أشار إليه.كلينت عن التصور بقوله « إن الحديث دائما عن التصور الذي لا يعد إعادة إنتاج للواقع، بل هو بناءات عقلية مرتبطة بالفرد وهذا الأخير مهما فعل لا يستطيع التخلي نهائيا عن خبراته، ماضيه، معتقداته وقيمه.» (Clenet,1998, p54)

الحديث عن الخبرات والمعتقدات والقيم يأكد أن العامل الاجتماعي وارد ولا يمكن تجاهله، كما يؤكد ذلك موسكوفسي بقوله «عندما نتصور شيئا أو فكرة ما لا نعتمد فقط على أفكارنا الخاصة وصورنا بل نسير ونعكس منتجا مكونا تدريجيا في العديد من الأماكن والمواقف وبقوانين وقواعد مختلفة»(Moscovisci; in: Abric,1998, p24)، وعليه فحتى الحديث عن التصور كمنتج فردي يفقد معناه انطلاقا من كون الفرد نفسه لا يخرج عن تصور المجتمع له.

من جهته فقد قدم لنا أبريك نموذجا آخر لفهم هذه الظاهرة من خلال نظريته المسماة بالنواة المركزية والتي تقوم على عنصرين هما النواة المركزية والعناصر المحيطية بها، حيث تمثل الأولى مركز التصور وتتشكل من الخصائص الأساسية للشيء للتحول فيما بعد إلى خاصية واحدة على أساسها يبنى التصور، أما الثانية فهي بمثابة حلقة الوصل بين النواة والمظهر السلوكي للتصور فهي بمثابة الغلاف الواقي للنواة لها وظائف تتمثل في التجسيد، التنظيم والوظيفة الدفاعية، فحسب أبريك إذا أردنا التغيير الكلي في السلوك علينا الوصول إلى النواة فما دون ذلك هو تغيير في مظهر التصور لا في كنهه، كما وضع "أبريك" من خلال نظريته هاته آلية للتناول الكمي لموضوع التصورات بدلا من التناول الكيفي وهذا يعد نقلة وإضافة هامة في تناول مثل هذه المواضيع.

وفي الأخير نخلص أيضا إلى أن وضع مفهوم للظاهرة يجمع بين ما ذهب إليه التياران في نظرتهم لطبيعة مفهوم التصورات وكذا في آلية عملها، سمح لنا بالخروج بأهم خصائص ومكونات هذا المفهوم، التي من شأنها أن تسهِّل على المهتمين والباحثين في تناول موضوع التصورات بكثير من السهولة واليسر بعيدا عن صراعات الأطر المعرفية المختلفة.

المراجع

1. ساسي نور الدين. 1996، التصورات الاجتماعية ودورها في الموقف التعليمي، المجلة العربية للتربية، المنظمة العربية للعلوم والثقافة ALSCO.

2. Abric Jean Claude, 1984 .*Pratique sociale et représentation*, P.U.F.

3. Abric Jean Claude, 1998. Représentation sociale et effets de contexte, revue *connexions*, n:72, France.

4. Bloch, 1993. Représentation mentale*: grand dictionnaire de la psychologie*, éd. Larousse, France.

5. Bronchart J.P., 1991. La représentation: *dictionnaire de la psychologie*, P.U.F

6. Bursztejin C.; Glose B., *Penser, parler, Représenter*, éd. Mousson Paris, France.

7. Clent Jean, 1998. *Représentation, formation, et alternance*, éd l'Harmattan, Paris, France.

8. Chombart De Lawe Marie Josée; Nelly Fouenhahin, 1971. *Un monde autre l'enfance de sa représentation à son mythe*, éd, Payot, Paris, France.

9. Ghiglione R., François Richard J., 1997. *Cours de psychologie, processus et application*, Dunod T6, France.

10. Jodelet. Denis. Représentation sociale, P.U.F. 1989.

11. Moscovici serge, 1976. *La psychologie son image et son public*, P.U.F, Paris.

12. Moscovici serge. *La Psychologie sociale*. P.U.F, 2 Ed, France 1984

13. Piaget Jean, 1969. *Psychologie et pédagogie*. Ed Denoel Gonthier, Paris, France.

14. Postic Marcel, Line Wagemann, 1996. Représentation des difficultés scolaires chez l'élève de 5éme. *Bulletin De Psychologie*, n° 425, France 1995- 1996.

15. Samer Michel, 1983. Du concept au fantasme, psychologie de la connaissance et pédagogie de Bachelard à Piaget et à Freud, P.U.F.